الملتقى الوطني :
الدرس التفسيري والحديثي عند علماء
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

مصادر الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائرين وآثارها العلمية

د. نبيل بلهي
أستاذ الحديث وعلومه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث:

هذا البحث يسلط الضوء على المصادر التي اعتمدها علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائرين في درسهم التفسيري والحديثي، وذلك بالتفتيش عن أهم المراجع التي توفرت في عهدهم، ومعرفة أنواعها وقيمتها وسبب اختيارهم لها، كل ذلك من أجل التحقق من الأصالة العلمية للدرس التفسيري والحديثي للجمعية، ومدى تأثير المصادر العلمية في الافكار الإصلاحية التي جاءت بها جمعية العلماء المسلمين.

وخلص البحث إلى أن علماء الجمعية اعتمدوا مصادر متنوعة ومتخصصة في تدريسهم القرآن والحديث، وكان تركيزهم على ثلاثة أنواع من المصادر (المصادر المتخصصة / مصادر مالكية / مصادر جزائرية).

الكلمات المفتاحية: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – المصادر العلمية – الدرس التفسيري – الدرس الحديثي.

Research Summary:

This research sheds light sheds light on the sources on the sources used by relied upon by the scholars of the Algerian Association of Muslim Scholars in their interpretive and hadith studies. This is done by examining the most important references available during their time, and understanding their types, value the scholars, and the of the Alger reasons forian Association of Muslim Scholars in their interpretive and Had their selectionith studies. It examines the important references available during their time, and seeks to understand their types, value, and the reasons for their selection. All of this is done in order to verify the scientific authenticity of the Association's interpret. All ofive and Had this is done inith studies order to, and to determine the verify the extent of scientific authenticity the influence of scientific sources on of the interpret the reformive and hadist ideasith studies put forth by the Association of the association of Muslim, and to Scholars.

determine The research extent of concludes that the influence the scholars of scientific sources on of the Association relied on diverse and the reform specialized sourcesist ideas in their teaching of the Quran brought forth by the Association of Muslim Scholars.

The research and Had concludes thatith, with the scholars their focus being on of the association three types relied on diverse and of sources: specialized specialized sources sources, in their Maliki sources teaching of, and Algerian sources the Quran.

Keywords: Algerian Association of Muslim Scholars, scientific sources, interpretive study, hadith study.

مُقَدِّمَة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد: فلا يزال تراث جَمعية العلماء المسلمين الجزائريين يحتَاج إلى مزيد من الدراسة والتمحيص، خاصة فيما تعلّق بالدرس التفسيري والدرس الحديثي، الذين جعِلاَ الأساس في المنطلق الدعوي والإصلاحي في المشروع الباديسي، فقد قام علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائرين بتدريس الوحيين (الكتاب والسنة) لجماهير المسلمين، محاولين ربط المجتمع المسلم بمصدر قوَّته وعزّه -وهو وحي ربُّ العالمين-، فكان لهم التأثير القويُّ، وظهرت ثمرة جهودهم في زمانهم، وفي الأجيالِ التي أَتَت من بعدهم، وبقيت جهودهم، وبقي تراثهم في هذا الشأن، تجربةً فريدةً يستلهم منها المصلحون، وماضيا حاضريًّا يتنافس في فهمه الباحثون.

وقد أُتيحت الفرصة للاطلاع أكثر على هذا المجال، لما أعلن عن الملتقى الوطني بعنوان: (الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) فأرتأيت أن أُدلِي بدلوي في هذا المضمار بمداخلة عنوانها (مصادر الدرس التفسيري والحديثي عند علماء جمعيةِ العلماء المسلمين الجزائرين، وآثارها العلمية).

فمنشأ فكرة البحث أنَّه لما كانت دعوة جمعية العلماء المسلمين دعوة إصلاحية تدعو إلى الإجتهاد والتجديد، وعدم التقيد بالطرق التقليدية في التربية والتعليم، قد يتبادر إلى أذهان بعض الناس أنَّ دروسهم التفسيرية والحديثية لم يكن لها مستندٌ عند المتقدمين، ولم يتكئ أصحابها على مصادر علمية موثوقة في تحريرها، وأنَّها من بنات أفكار الإصلاحيين.

فالإشكال المطروح هنا — والذي يفترض أن تجيب عنه هذه الورقة- هو:

- ماهي مصادر علماء الجمعية في درسهم التفسيري والحديثي ؟
- ما طبيعة هذه المصادر، وما هو تأثيرها على نمط دروس علماء الجمعية ؟

من هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يحاول الكشف عن المصادر القرآنية والحديثية للدرس القرآني والحديثي لعلماء الجمعية، ومحاولة فهم مستند أولئك العلماء في دروسهم المتعلّقة بالوحيين، ومدى أصالتها، في ضوء ما توفر لديهم في تلك الحقبة الزمنية.

والهدف هو بيان الأصالة العلمية لهذه الدروس، وموثوقيتها في الميزان العلمي، ومدى تأثير تلك المصادر في نتاج علماء الجمعية، كذلك بيان نوعية المصادر المعتمدة لدى علماء الجمعية في درسهم الحديثي والتفسيري، ومدى توافق هذه المصادر مع المرجعية الدينية، وسبب اختيار علماء الجمعية لها.

وأمَّا عن الدراسات السابقة، فلم أقف -في حدود إطلاعي- على دراسة خاصَّة بهذا الموضوع، وإنما وقفت على دراسات عامَّة حول السياسة التعليمية، والمنهج التعليمي عند جمعية العلماء المسلمين، ودراسات خاصة حول جهودهم في الدرس الحديثي أوالتفسيري مثل:

- الدرس الحديثي عند الإمام ابن باديس منهجه ومقاصده، بوحمادو يونس، (رسالة ماجستير) قُدِّمت في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، وقد تكلَّم مشكورا عن مصَادر ابن باديس في درسه الحديثي.

- جهود علماء جمعية العلماء المسلمين في خدمة السنة النبوية، قلال نصيرة، (رسالة دكتوراه) قدمت في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر.

وأمَّا الجديد الذي تقدمه هذه الدراسة، فهو إحصاء أهم المصادر العلمية في علْمي القرآن والسنَّة التي اعتمدها علماء الجمعية في دروسهم، وبيان سبب اختيارها، والآثار المترتبة على اعتمادها، وهذه الجزئية بالذات لم أر من خصَّها بالبحث من قَبل — في حدود اطلاعي-.

ومن أجل تحليل هذا الموضوع، والوقوف على أبعاده وضعت الخطة الآتية:

خطة البحث:

مقدمة: تمهيد للبحث.

المبحث الأول: نبذة عن الدرس التفسيري والحديثي عند جمعية العلماء.

المبحث الثاني: مصادر الدرس (التفسيري) عند علماء الجمعية وقيمتها.

المبحث الثالث: أثر هذه المصادر في الدرس (التفسيري) عند علماء الجمعية.

المبحث الرابع: مصادر الدرس (الحديثي) عند علماء الجمعية وقيمتها.

المبحث الخامس: أثر هذه المصادر في الدرس (الحديثي) عند علماء الجمعية.

الخاتمة: نتائج البحث، والتوصيات.

المبحث الأول: نبذة عن الدرس التفسيري والحديثي عند جمعية العلماء المسلمين.

إنَّ المتتبع للسياق التاريخي للحركة العلمية في الجزائر، يلاحظ بوضوح ذلك الركود العلمي في المرحلة التي كانت قبل دخول الاستعمار وأثنائه، حيث أثَّر هذا الركود سلبيًّا على الدرس التفسيري والحديثي، واكتفى من كان قائما على التعليم في ذلك الوقت ، بتداول المتون المعروفة والاهتمام بجانب التزهد والتعبد، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى التنفير من مدارسة القرآن والحديث حتى لا يقعوا في التقوُّل على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم بغير علم، باستثناء بعض المحاولات التجديدية للمشايخ: (حمدان الونيسي، عبد القادر المجاوي، صالح بن مهنا)... وغيرهم.

ومن رحم هذه المحاولات التجديدية خرج علماء الجمعية، ليأخذوا زمام المبادرة للإصلاح التعليمي، وتجديد الدرس التفسيري والحديثي، فبعد تشبُّعهم بعلوم الشريعة في أهم حواضر العلم في عصرهم (جامع الزيتونة بتونس، وجامع الأزهر بمصر) أعادوا بعث وإحياء الدروس التفسيرية الحديثية في المجتمع الجزائري، فقد أشارت مبادئ جمعية العلماء المسلمين إلى ذلك صراحة، حين جاء في (المادة ٦٦) من ميثاقها: "فالجمعية تريد أن ترجع بهذه الأمَّة –من طريق الإرشاد– إلى هداية الكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالح لتكون ماشية في رقيها الروحي على شعاع تلك الهداية".[١]

و جاء في (المادة ٧٠): "يبتدئ البرنامج ببيان الأسباب التي أدت بالناس إلى الإعراض عن الكتاب والسنة وأبعدتهم عن هدايتهما، ثم ببيان ما يلزم سلوكه لإرجاعهم إلى تلك الهداية".[٢]

وكانت السياسة التعلمية عند علماء الجمعية واضحة وهي إحياء الدرس التفسيري والحديثي؛ لأنَّه قوام العلوم والدروس؛ ولأن التأثير الحقيقي في المجتمع لا بد أن يكون بردّهم إلى الوحيين، فقد جاء في نظام الجمعية: " أمَّا في المساجد فطريقة الجمعية في الوعظ والتذكير هيَ طريقة السلف، تذكر بكتاب الله، تشرحه وتستجدي عِبره، وبالصحيح من سنة رسول الله، تبينها وتنشرها، وبسيرته العملية، تجلوها وتدل الناس على مواضع التأسّي منها، ثم سير الصحابة وهديهم، ثم سير حملة السنة النبوية، وحملة الهدي المحمدي في أقوالهم وأعمالهم كذلك".[٣]

وقد قام الشيخ ابن باديس بترجمة هذه السياسة التعليمية في الواقع، ففسَّر القرآن الكريم درسا على الجماهير، وشرح موطأ الإمام مالك درسا عليهم كذلك.

ومن خصائص الدرس التفسيري والحديثي عند علماء الجمعية ربطه بالواقع، فجاء تفسيرهم

---

[١] آثار البشير الإبراهيمي: ١/ ٨٤.

[٢] آثار البشير الإبراهيمي: ١/ ٨٦.

[٣] آثار البشير الإبراهيمي: ١/ ١٩١– ١٩٢..

للنصوص إصلاحيا واقعيا، حيث تنزَّل معاني الآيات والأحاديث على واقع الأمة، ويعطي المدرس الحلول والنصائح المستقاة من الوحي لعلاج مشاكل الناس، وهذا في الحقيقة جزء من السياسة التعلمية التي رسمتها الجمعية، يقول الشيخ المبارك الميلي: " فالمدرس يجب أن يكون مصلحا يلقي المسائل ويطبق ما يحتاج منها إلى التطبيق على حالتنا الحاضرة، بجهد فكره في استخراج نكت التطبيق أكثر مما يجهده في حلِ عبارة المصنف؛ لأنَّ العبرة بالعلم لا بالألفاظ، وفائدة العلم العمل لا الفهم، والتطبيق تمرين على العمل ودعاء إليه ".[1]

ومن خصائصه كذلك النزعة النقدية التجديدية في الطرح العلمي، فلم يكن الدرس التفسيري والحديثي عندهم مجرد تكرار لما قرَّره السابقون، ولا إعادة تقرير ما هو مدوَّن في الكتب والمصادر، من أشياء كانت مفيدة في وقتها، ولكنَّ الدرس عندهم كان حيًّا بأتم معنى الكلمة، حيث يستمدُّ قوته من المصادر الأصلية، ويستمد واقعيته من خلال الجدة في التحليل والطرح، لذلك نجد فيه انتقادا للتفسيرات الخاطئة، والتأويلات غير المستساغة، والأقوال التي ليس عليها دليل، إذ الأصل عند العلماء تطلُّب الحقّ بدليله، كما قال الشيخ العربي التبسي: "ومن المقرر: إن كنت ناقلا فالصحَّة، وإن كنت مدَّعِيا فالدليل".[2]

هذه هي أبرز معالم وخصائص الدرس الحديثي والتفسيري الذي أحيت به جمعية العلماء الأمَّة الجزائرية من سباتها الذي فرضه عليها الإستعمار الفرنسي الحقود على تراث الأمة وحضارتها، وفي ما يلي من المباحث الكلام المفصَّل عن المصادر العلمية التي أسهمت في نجاح تلك الدروس.

---

[1] آثار الشيخ مبارك الميلي: ١/ ٢٤٩.

[2] الأعمال الكاملة، للشيخ العربي التبسي: ص ٤١٥.

المبحث الثاني: مصادر الدرس (التفسيري) عند علماء الجمعية، وقيمتها.

الدرس التفسيري عند علماء الجمعية كان في غالبه، شفويًّا يلقى على الجماهير، أو سلسلة مقالات تنشر للقراء في الجرائد، فقد أيقن هؤلاء العلماء أن إصلاح المجتمع لا يكون إلا بربطه بالقرآن الكريم، تفسيرا وتدبرا وعملا، لكن هذه الغاية لم تنسِ أولئك العلماء التأصيل العلمي لتأويل القرآن، فمن المعلوم عندهم أن من قال في القرآن برأيه، فقد كذب ولو أصاب، وأنه لا يجوز لعالم أن يتأوَّل كلام الله بغير علم.

فكان لا بدَّ من الرجوع إلى مصادر علمية معروفة في استمداد التأويل، تعطي لكلام المفسر قيمة، وتقيه من الزلل والشطط، وهذا هو المظنون بعلماء الجمعية، فقد كانوا يرجعون إلى مصادر قوية ونفيسة في هذا الباب، مما يعطي مصداقية علمية لهذا الدرس التفسيري، فمن محاسن جمعية العلماء أنها ربطت الناشئة بكتب التفسير الموثوقة، فزاحمت بها كتب الخرافة والدجل والمنامات، يقول البشير الإبراهيمي: "ومن بركات جمعية العلماء على هذا القطر أن أمَّهات التفسير الموثوق بها وكتب الحديث الصحيحة راجت بين الناس، وعمرت الخزائن، واكتسحت تلك الكتب التي ضلَّلت الناس وقتلت مشاعرهم".[1]

وها هو الإمام المصلح الرئيس عبد الحميد بن باديس، يبيِّنُ في مقدمة تفسيره، أهمَّ المصادر التي يرجع إليها في تناول الآيات بالتحليل، بكلام علمي رائعٍ فيقولَ: "وعمدتنا فيما نرجع إليه من كتب الأئمة (تفسير ابن جرير الطبري)، الذي يمتاز بالتفاسير النقلية السلفية، وبأسلوبه الترسلي البليغ في بيان معنى الآيات القرآنية، وبترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب، و(تفسير الكشَّاف) الذي يمتاز بذوقه في الأسلوب القرآني وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب والتنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام. و(تفسير أبي حيان الأندلسي) الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات، و(تفسير الرازي) الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية، مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان، وفي العلوم الكلامية ومقالات الفرق والمناظرة في ذلك والحجاج، إلى غير هذا مما لا بد لنا من مراجعته من كتب التفسير والحديث والأحكام، وغيرها مما يقتضيه المقام، **نقول هذا ليعرف الطلبة مصادر درسنا، ومآخذ ما يسمعونه منا**".[2]

والشاهد من هذا الكلام أنَّ ابن باديس يعي جيِّدا أهمية ربط كلامه بالمصادر لذلك صرح

---

[1] آثار البشير الإبراهيمي: ١/ ١٩٣.

[2] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير/ ابن باديس: ص ٤١.

للطلبة بمصادره قائلاً: (هذا ليعرف الطلبة مصادر درسنا، ومآخذ ما يسمعونه منا)، ثم لم يكتف بذلك، بل فصَّل طريقة الاستفادة من تلك المصادر، وذلك بتصنيفها على حسب الاختصاص، وبيان أفضل ما تميَّز به كلُّ كتاب، وفيما يأت تفسير كلامه.

كتاب جامع البيان في تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، وهو مصدر أصيل نفيس، يعنى بالتفسير الأثري، وأسلوبه في التلخيص، وترجيحاته القوية، وهذا المصدر بالذات هو عمدة جميع المفسرين، وعليه المعول خاصة في الترجيح بين الأقوال المختلفة.

كتاب الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، وهو مرجع أساس في معرفة بلاغة القرآن وتنوع أساليبه اللغوية، بالرغم من الاعتزاليات التي نثرها فيه، يقول البشير الإبراهيمي: "والنحاة والباحثون في أسرار التراكيب لا يفيضون إلّا في توجيه الأعاريب أو في نكت البلاغة كما يفعل **الزمخشري وأبو حيان،** هكذا فعل القدماء والمحدثون بالقرآن، حكموا فيه نحلهم ومذاهبهم وصناعتهم الغالبة عليهم، فأضاعوا هديه وبلاغه وأبعدوا الأمة عنه، وصرفوها عن حكمه وأسراره".[1] وهذا يدلُّ على أن علماء الجمعية على مستوى كبير من الوعي بمحاسن ومساوئ كتب التفسير.

كتاب البحر المحيط في التفسير، لأبي حيَّان الأندلسي، وهو مرجع نفيس للمسائل اللغوية والنحوية في القرآن الكريم، وتوجيه القراءات القرآنية، وقد سبق قول الإبراهمي في تقويمه، ونقل منه ابن باديس ما تعلق بالإنكار على متصوفة زمانه.[2]

كتاب مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لفخر الدين الرازي، وهو مرجع مهم في المباحث المتعلقة بالعلوم الكونية، ومقالات الفرق الكلامية، وليس يعني هذا أن علماء الجمعية توسعوا في الأخذ عنه دون نقد ولا تمحيص، بل الثابت أنهم انتقدوا بعض اختياراته بعلم وحلم، من ذلك رد مبارك الميلي على الرازي في تفسيره سورة الجن، قال عقبه: "هذا تقويمنا لكلام الرازي في تفسير سورة الجن الذي نقض به ما صرح به في تفسير سورتي البقرة وآل عمران".[3]

وهكذا يبين ابن باديس في موضع آخر، مصدرا من مصادر الدرس التفسيري، وهو من أوائل ما يقرأه الطالب، لسهولته واختصاره، ألا وهو **تفسير الجلالين،** لجلال الدين السيوطي، وجلال

[1] آثار البشير الإبراهيمي: ٢/ ٢٥١.

[2] آثار ابن باديس : ٣/ ٤٤. وانظر، البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي: ٥/ ٦٩.

[3] رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي: ص ٦٩.

الدين المحلّي، يقول ابن باديس: "وعلى التفسير ويكون بسرد تفسير الجلالين على المتعلم وهو يبين ما يحتاج للبيان. والمقصود من هذا أن يطلع المتعلم على التفسير بفهم المفردات وأصول المعاني بطريق الإجمال، وعلى الحديث بقراءة الأربعين وغيرها سردا على الطريقة المتقدمة في التفسير".[1]

ولا ننسى كذلك الحضور القوي **لأحكام القرآن لابن العربي**، فقد نُشِر في عهد علماء الجمعية، ولهم احتفاء خاص بكتب ابن العربي عموما، خاصة تفسيره، يدل على ذلك قول ابن باديس: "إذا نظرنا في آثار ابن العربي التي تركها لنا في كتاب (أحكام القرآن) وقد نشر".[2] وقال في موضع آخر "أحكام القرآن كتاب حسن (مطبوع بمصر)".[3]

أخذ عنه ابن باديس كما في الآثار (١/ ٤٥٩ - ٣/ ٨٥) وفي مجالس التذكير في حديث البشير النذير (ص ٢٢٩) ومبارك الميلي في رسالة الشرك ومظاهره (ص ٤٥٥).

وكذلك **أحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي**، وهو أعظم كتاب في تفسير آيات الأحكام كان حاضرا في كتابات علماء الجمعية، نقل منه ابن باديس كما في آثاره (١/١٤٤) ومبارك الميلي في رسالة الشرك (ص ٧٣- ٧٤- ١٣٧- ١٤٢....).

وأما التفاسير الحديثة والمعاصرة فلم تغب عن رجال جمعية العلماء، فكانت مصدرا ثريًّا لدرسهم التفسيري الإصلاحي، فقد سعت الجمعية من أوَّل يوم لتحريك النفوس وتحريرها من الخرافة والعبودية لغير الله، وهذا يقتضى الرجوع إلى المصادر المعاصرة التي فيه تنزيل القرآن على الواقع نذكر على رأسها:

- **تفسير (محمد عبده المصري)** و(**محمد رشيد رضا**)، الذي كان يمثل في ذلك العصر التيار الإصلاحي التجديدي، فقد اتخذه علماء الجمعية مصدرا من مصادر الدرس التفسيري، ونقلوا منه ما يلامس واقعهم، من ذلك قول الشيخ مبارك الميلي بعد الكلام على آية ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ**﴾ [البقرة: ٢٨٢]: "ولأستاذ الشيخ محمد عبده كلام نفيس في تفسير هذه الآية نقله الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره[4] (ج٣/ ص ١٢٨-١٣١) فليقف عليه من شاء هناك".[5]

وقال مبارك الميلي في رسالة لاشرك ومظاهره: " قال محمد عبده فيما لُخِّص عنه في حياته من

[1] آثار ابن باديس: ٣/ ١٨٢.

[2] آثار ابن باديس: ٤/ ١٢٨.

[3] العواصم من القواصم، لابن العربي — ذيل تحقيق الشيخ عبد الحميد ابن باديس —: ص ٤٩١.

[4] تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ٣/ ١٠٧.

[5] آثار مبارك الميلي: ١/ ٢١٥.

التفسير المعروف بـ «تفسير المنار»: "وإن في القرآن من التهذيب، ودعوة الأرواح إلى ما فيه سعادتها، ورفعها من حضيض الجهالة إلى أوج المعرفة، وإرشادها إلى طريقة الحياة الاجتماعية: ما لا يستغني عنه من يؤمن بالله واليوم الآخر، وما هو أجدر بالدخول في الفقه الحقيقي".[1]

وقد ذكر الدكتور عمار طالبي تأثر ابن باديس بطريقة محمد عبده فقال: "وطريقة تدريسه هي نفس طريقة تدريس التفسير ويبدو هنا أن ابن باديس متأثر بطريقة محمد عبده الذي كان يستعرض النص ثم يحلّله بخلاف جمال الدين الأفغاني فإنه يتحدث في الموضوع ثم يستعرض النص في النهاية ".[2]

وهكذا كان **تفسير المنار** لمحمد رشيد رضا عمدة في الدرس التفسيري لعلماء الجمعية، وكان محمد رشيد رضا يعد مدرسة لوحده تسمى مدرسة المنار، أهم سماتها الانفتاح والتحرر ونبذ التقليد، والمزج بين العلوم التقليدية والعلوم العصرية، والسعي نحو إصلاح المجتمعات بكتاب الله وسنة رسوله، يقول ابن باديس عن محمد رشيد رضا:" جاء السيد رشيد إلى مصر وهو عالم مفكر وكاتب متبصر فصحب الأستاذ الإمام صحبة العالم الصغير للعالم الكبير فكان من أول آثار ذلك إصداره للصحيفة الإصلاحية التي كان يستمد روحها من الأستاذ الإمام ثم رغبته منه في إلقاء دروس التفسير التي كانت أساساً لتفسير المنار ... كما كانت دروس التفسير فتحاً جديداً في الدين".[3]

وقد نقل منه مبارك الميلي في مواضع من رسالته في الشرك ومظاهره (ص ٧٥- ١١٨- ١٣٥- ٢٧١).

[1] رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي: ص ٧٥.

[2] مقدمة تحقيق آثار ابن باديس، عمار طالبي: ١/١١٢.

[3] آثار ابن باديس: ٤/ ٢٠٧.

المبحث الثالث: أثر هذه المصادر في في الدرس (التفسيري) عند علماء الجمعية.

لا شكَّ ولا ريب أن المصادر العلمية المختارة بدقّة وعناية من شيوخ جمعية العلماء المسلمين، كان لها أثر بارز في توجيه الدرس التفسيري نحو الوجه الصحيحة، خاصة إذا علمنا أنَّ تفسير القرآن الكريم عند المتأخرين دخله الغثُّ والسمين، فكان لا بد من الانتقاء والتصفية، وعلى العموم يمكننا تلخيص هذه الآثر في نقاط، هذه أهمها:

أولا) كان للمصادر الأثرية التي عرِفَ أصحابها باتباع الأثر، واعتناق عقيدة أهل الحديث، أثر بارز في الدرس التفسيري لعلماء الجمعية، لذلك تجد أقوالهم ي هذا الباب منسجمة، ومتفقة مع عقيدة أهل السنة والجماعة، سواء فيما تعلّق في أبواب الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، أو فيما تعلق فيما يجب لله من إخلاص الدين والعبودية لله رب العالمين، وهذه الأمور نجدها في عيون التفاسير التي اعتمدوها على رأسها (تفسير الطبري- تفسير ابن كثير - تفسير البغوي) وغيرها من التفاسير، التي تدعوا لاستقاء العقائد من الوحيين والاقتصار على ذلك ، ونبذ طريقة المتكلمين التي جنت على العقيدة الإسلامية، يقول البشير الإبراهيمي في مقدمة العقائد الإسلامية لابن باديس: "حتى جاءت دروس الإمام ابن باديس فأحيا بها طريق السلف في دروسه- ومنها هذه الدروس- وأكملتها جمعية العلماء، فمن مبادئها التي عملت لها بالفعل لزوم الرجوع إلى القرآن في كل شيء لا سيما ما يتعلق بتوحيد الله، فإن الطريقة المثلى هي الاستدلال على وجود الله وصفاته وما يرجع إلى الغيبيات لا يكون إلا بالقرآن، لأن المؤمن إذا استند في توحيد الله وإثبات ما ثبت له ونفي ما انتفى عنه لا يكون إلا بآية قرآنية محكمة، فالمؤمن إذا سولت له نفسه المخالفة في شأن من أمور الآخرة، أو صفات الله فإنها لا تسول له مخالفة القرآن".[1]

ثانيا) تحرير المسائل الدقيقة وتحقيق القول فيها، خاصة المسائل المشكلة التي تستدعي مراجعة الأصول، والبناء على أقوال السابقين، فقد كان للمصادر دور بارز في ترجيح علماء الجمعية بين الأقوال في الدرس التفسيري، من ذلك اعتماد الشيخ عبد الحميد ابن باديس على تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» في بيان المعنى الراجح لكلمة (آل محمد) فرجح قول ابن عباس: هم اتباعه على ملّته، ثم قال: "فابن عباس في تفسيره الآل بالاتباع هو سلف مالك في تفسيره له بذلك. وابن جرير في ترجيحه لقوله هو سلفنا في الترجيح".[2]

---

[1] العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ابن باديس — المقدمة-: ص ٢١.

[2] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس: ص ٢٣٥.

وقال مبارك الميلي بعد بيان مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله : "وقد بسط القول في تحليل مفاتح الغيب أبو بكر بن العربي في (أحكامه)[1] أول سورة الأنعام، وحكم بكفر من ادعى علم واحدة منها".[2] وهذا يدل بوضوح على أثر المصادر في الترجيح.

ثالثا) النفَس الإصلاحي التجديدي واضح بسبب تلك المصادر، فإنَّ اعتماد المصادر المعاصرة، خاصة كتب المجدّدين منهم أعطت نفَسا معاصرا للدرس التفسيري، وجعلته يعياش الواقع، ويخالف المألوف، وينتقد الواقع الديني والتعليمي مما أثار حفيظة التقليدين الجامدين، يقول ابن باديس في هذا الصدد: "وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر في الفروع الفقهية والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية، **ونرغبهم في مطالعة كتب الأقدمين ومؤلفات المعاصرين** – لما قمنا بهذا، وأعلناه قامت علينا – وعلى من وافقنا– قيامة أهل الجمود والركود، وصاروا يدعوننا –للتنفير والحطمنا– (عبداويين)".[3]

وقد كان بين الشيخ ابن باديس ومحمد رشيد رضا مراسلات في تحقيق القول في بعض الآيات، شدَّ فيها محمد رشيد رضا من أَزر ابن باديس في تقريره المعنى الحق للعبودية لله، فقد جاء في الآثار: "ثم لما اطلع أخونا في الله شيخ الإسلام الأستاذ محمد رشيد رضا على ما دار في المسألة بيننا وبين خصومنا كاتبنا بموافقته على ما قلنا وذكر لنا ما كان كتبه هو في المسألة في الجزء الثاني من تفسير المنار الشهير وها نحن ننقل ما كتبه الأستاذ في المسألة عند تفسير قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً**﴾ الآية، إفادة لقرائنا شاكرين لفضيلته عنايته وتنبيهه".[4]

---

[1] أحكام القرآن، ابن العربي: ٢/ ٢٥٩.

[2] رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي: ص ٢٠٠.

[3] مجلة السنة النبوية، العدد الثالث (ذو الحجة ١٣٥١هـ) ، (عبداويين ثم وهابيين)، ابن باديس، ص ١.

[4] آثار ابن باديس: ٥٢/٣.

المبحث الرابع: مصادر الدرس (الحديثي) عند علماء الجمعية وقيمتها.

لم يكن الدرس الحديثي بمعزل عن درس التفسير في دعوة رجال جمعية العلماء المسلمين، ولم يكن كذلك أقل شأنا منه، فقد انبرى علماء الجمعية لعقد دروس في علم الحديث، إذ السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع، والاعتناء بها ضروري لاخراج جيل متشبع بهدي النبي صلى الله عليه وسلم[1]، لذلك جاء في المبادئ العامة لتأسيس الجمعية ما يدل على ذلك، ففي (المادة: ٧٥) "تعنى الجمعية وتوصي كلَّ من فيه الكفاءة بإحياء دروس الحديث من كتبه الصحيحة والتاريخ ومتون اللغة والأدب وعلم الأخلاق والأصول، ومن حقّها تعيّين الكتب وأسلوب التدريس على التفصيل المقرر في البرنامج التعليمي الملحق بهذه اللائحة".[2]

ومن أجل هذا أنشأت جمعية العلماء المسلمين «مجلة السنة النبوية المحمدية» سنة (١٣٥٣هـ / ١٩٣١م) لتأكد أنَّ السنة النبوية مصدر أساس، وأن الدرس الحديثي سيكون له شأن في البرنامج العلمي الإصلاحي، فقد جاء في تصدير هذه المجلة، قولهم: "فأخذنا على أنفسنا دعوة الناس إلى السنة النبوية المحمدية وتخصيصها بالتقديم والأرجحية فكانت دعوتنا – علم الله- من أول يوم إليها والحث على التمسك والرجوع إليها". [3]

والملاحظ في هذه اللائحة أن عليها أنوار الوعي الكبير بمصادر السنة، واختيار الصحيح القوي منها، والاستفراد بحق اختيار كتب السنة التي يدرسها الطلبة، وهذا كله يدل على أن رجال الجمعية يركزون جيدا على المصادر العلمية الموثوقة، ويولونها أهمية كبيرة.[4]

والسبب في ذلك هو رواج بعض المصادر الزائفة التي تروج للأحاديث الضعيفة والموضوعة، والمنامات والخزعبلات، التي كان يعتمدها بعض الطرقيين، وكان لها الأثر السلبي الكبير على نفسية وسلوك الأفراد الذين يتلقونها مسلمات لا تقبل النقاش، يقول البشير الإبراهيمي: "وأما إصلاح الكتب فإن عمدة الجمعية في التذكير على كتاب الله، وحديث نبيه عليه الصلاة والسلام، ومدرسوها ما منهم إلّا من له في العلم مقام معلوم، وهم يلتزمون في تذكيرهم الأحاديث التي صحَّت أسانيدها ومتونها، **ودواوين الحديث الصحيحة المعتمدة موجودة متوافرة،** فلا عناء في هذا الباب ومن بركات جمعية العلماء على هذا القطر أن أمَّهات التفسير الموثوق بها، **وكتب الحديث الصحيحة**

---

[1] ينظر: الشيخ عبد الحميد ابن باديس السلفية والتجديد، د. محمد الدراجي: ص ١٠٢- ١٠٣.

[2] آثار البشير الإبراهيمي: ١/ ٨٧.

[3] السنة النبوية المحمدية ،ابن باديس وآخرون: العدد الأول، ص ١، سنة ١٣٥١هـ

[4] ينظر: جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، د. عقيلة حسين: ص ٧٣.

راجت بين الناس، وعمَّرت الخزائن، واكتسحت تلك الكتب التي ضللت الناس وقتلت مشاعرهم، وإنَّ الأحاديث الصحيحة بدأت تتداول على الألسنة، وتتناول في المجالس، وترصع أحاديث الناس في مواطن الاستدلال، وان رواية الحديث بدأت تنتعش".[1]

بناء على هذا نشرع الآن في بيان أهم المصادر التي اعتمدها علماء الجمعية في درسهم الحديثي، مركزين على أهم الكتب وأكثرها تأثيرا، فلا يدعي الباحث الاستقصاء لأن ذلك يحتاج إلى دراسات مطولة.

ففي باب **الشمائل المحمدية والخصال المصطفوية**، اختار ابن باديس كتاب «الشفا في أحوال المصطفى»[2] للقاضي عياض، ليكون محلا لدرسه الحديثي أول ما رجع من رحلته العلمية، فقد "شرع ابن باديس من ناحية أخرى في إلقاء دروس على الكبار أول الأمر في الجامع الكبير، حيث كان يدرس فيه الشفاء للقاضي عياض ولكن ما لبث أن منعه مفتي قسنطينة المولود بن الوهوب".[3]

وفي مجال **متون الحديث** اختار ابن باديس **موطأ مالك** ليتدارسه مع الجماهير، مستنبطا الهدايات والفوائد والتنبيهات، وذلك أن الموطأ هو أجل كتاب صنَّفه صاحب المذهب الذي عليه أهل البلد، وأتمَّ شرحه في نحو من خمس وعشرين سنة يقول الجيلاني بن محمد: "أزَفُّ إلى المسلمين كافة وإلى أبناء الوطن العزيز خاصة هذه البشرى الجليلة والمفخرة الخالدة بختم الأستاذ عبد الحميد بن باديس لموطأ إمام الأئمة ومستودع الشريعة مالك بن أنس – بعد ما قضى في خدمته وهداية الأمة به درسا بضع عشرة سنة، بعمل متواصل وجد جاد يحرر أسانيده ويعزز مسانده، ويرفع مراسله ويستجلي أسراره ويكتسح به غيوم البدع وضلال العقائد".[4]

وفي مجال بيان السنَّة والردّ على البدع، كانت مصادر علماء الجمعية في هذا المحور من الدرس الحديثي عتيقة ومتينة، حيث اعَتمدوا على مصادر مالكية قوية في بابها على رأسها:

البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح القرطبي المالكي (٢٨٦هـ) وهو من أقدم مصنفات المالكية في مسألة البدع المحدثات والتحذير منها، وقد كان الإمام عبد الحميد ابن باديس يكثر من الاعتماد على هذا الكتاب في تقرير السنن وإنكار البدع، حتى إنَّه صرح أن ما ينقله عن ابن وضاح فإنما هو من هذا الكتاب، قال– عقب تخريج حديث في ذم البدعة– : "ورواه مختصرا بهذا اللفظ

---

[1] آثار البشير الإبراهيمي: ١ / ١٩٣.

[2] ينظر: الدرس الحديثي عند الإمام ابن باديس منهجه ومقاصده، يونس بوحمادو: ص ١٦٥.

[3] آثار ابن باديس، عمار طالبي: ١/ ١١٥.

[4] الاحتفال بختم الموطأ (ملحق بكتاب مجالس التذكير بحديث البشير النذير) الجيلاني بن محمد: ص ٣٢٩.

الحافظ محمد بن وضاح المالكي المتوفى سنة (٢٨٦ هـ) في كتابه «البدع والنهى عنها» (ص ٢٣) وكُلٌّ ما ننقله عنه من غير عزوٍ إلى كتاب، فمنه".[١]

وهكذا نجد الشيخ مبارك الميلي يعتمده في مواضع من كتابه الشرك ومظاهره (ص ٩٩-١٥١- ١٥٢).

كتاب الحوادث والبدع، لأبي بكر الطرطوشي المالكي (٥٣٠هـ)، وهو كتاب في الحث على التمسك بالسنن، والرد على البدع المحدثة في الدين، استشهد به ابن باديس في الرد على الخرافات الطرقية، وبيان أن العلماء أنكروا عليهم من قديم، فقال مستشهدا : "إنكار الإمام أبي بكر الطرطوشي المالكي – من أهل القرن الخامس والسادس- قال في خطبة كتابه الذي ألفه في إنكار البدع والمحدثات – وعندنا منه نسخة خطية مكتوبة نحو القرن العاشر".[٢]

كتاب الاعتصام للإمام أبي إسحاق الشاطبي المالكي (٧٩٠هـ): وهو كتاب غاية في النفاسة، غاية في التحرير والتدقيق، عالج مسألة الاعتصام بالسنة ونبذ البدعة، وقعَّد لها القواعد، بما لم يسبق لتحريره، وقد كان مرجعا أساسا لعلماء الجمعية، يقول ابن باديس: "ولسنا نقصد في وضع قصصنا إلى وضع تأليف ولا نخص هذا النقل بكاتب معيَّن أو كتاب مختص، وبين أيدينا الآن كتاب «الاعتصام»[٣] لمؤلفِّه علامة العقول والنقول أبي إسحاق الشاطبي المالكي المتوفى سنة (٧٩٠ هـ)، فرأينا أن ننقل منه َالفصل التالي الذي يذكر فيه أبو إسحاق ما رمي به، من مثل ما رمينا به حتى كأنَّا في زمان واحد".[٤]

وقد كانت كتب الشاطبي عموما تثير اشمئزاز المتعصبين ، فيتهمون أبا إسحاق بالشذوذ، ومخالفة الأولين، لا لشيء إلا أنه كان ينكر البدع والمحدثات، على طريقة الإمام مالك في سد الذرائع، يقول ابن باديس: "أما أبو إسحاق الشاطبي فقد صار يوصم عند بعض أنصار البدعة والمتأولين لها بالشذوذ، وما ذنبه عندهم إلا نصرته للسنَّة بكتابه الفريد، في بابه كتاب (الاعتصام) وبفصول من كتابه الفريد الآخر كتاب (الموافقات)".[٥]

واقد اعتمده الشيخ العربي التبسي كما في آثاره (ص٤٢٢) ومبارك الميلي كما في رسالته الشرك

---

[١] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس: ص ١٨٦.

[٢] مجلة السنة النبوية المحمدية، ابن باديس، (إنكار العلماء المتقدمين على المدعين المبتدعين) العدد ٤، ص ١

[٣] الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي: ٣٣/١.

[٤] مجلة السنة النبوية المحمدية، ابن باديس، (عبداويين ثم وهابيين) العدد ٣، ص ٨.

[٥] آثار ابن باديس: ٣/ ١٠٧.

ومظاهره (ص ٦٥- ١٥٦- ١٧٧...).

وأما **الشروح الحديثية** فقد كانت مرجع علماء الجمعية إلى المصادر المشهورة التي ينقل منها العلماء، ينطلقون منها لتفسير حديث رسول الله، وينسجون على منوالها في استنباط الفوائد والأحكام، فلم يكن شرحهم للحديث مجرد آراء ذاتية، بل كان شرحهم معتمدا على الأصول التي كانت موجودة بين أيديهم في ذلك الوقت، ويمكن تقسيم مصادر الشرح الحديثي عندهم إلى ثلاثة أقسام.

١. **شروح مشهورة متداولة.**

على رأسها **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، وهو شرح عظيم ليس له مثيل، حتَّى قيل فيه (لا هجرة بعد الفتح)، وقد بيَّن البشير الإبراهيمي أن تسمية ابن حجر بشيخ الإسلام إنما استحقَّه بسبب تأليفه مثل كتاب فتح الباري، يقول: "فيقال شيخ الإسلام (ابن القيم) وشيخ الإسلام (ابن حجر) مثلاً فما أغنى هذا اللقب عندنا عن الأول معشار ما أغنى عنه (إعلام الموقعين) وغيره من كتبه، ولا أغنى عن الثاني معشار ما أغنى عنه (فتح الباري) وغيره من آثاره".[١]

وقد أكثر علماء الجمعية من اعتماده والنقل منه، كالشيخ ابن باديس في كتابه مجالس التذكير من حديث البشير النذير (ص ٢٠٢ و ٢٠٥) ومبارك الميلي في عدة مواضع من رسالته في الشرك ومظاهره (ص٥٥- ٨٥- ٤٢٢- ٤٦٥) وفي آثاره (ص ٢٩٠- ٣١٣).

ومن المصادر المشهورة: **شرح النووي على صحيح مسلم**، كان مرجعا مهما لعلماء الجمعية في درسهم الحديثي، فنجده حاضرا في رسالة الشرك ومظاهره لمبارك الميلي (ص ٣٢٦- ٣٧٣- ٤٥٥- ٤٥٧) وفي مجلة الشريعة لابن باديس (العدد ٣ ص ٣) وفي آثار ابن باديس (٣/ ١٤٣ — ٢/ ١٣١).

٢. **شروح لعلماء من المالكية.**

تعد شروح الحافظ أبي بكر بن العربي مصدرا أساسا للشرح الحديثي عند علماء الجمعية، نظرا لكونه مالكيا، ولكونه متضلعا في شرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوضح ذلك الشيخ مبارك الميلي فيقول: "وابن العربي حافظ من حفاظ الحديث له فيه كتب مثل «عارضة الأحوذي» وشرحيه على الموطأ، وهي تشهد -كما شهد له مثل ابن فرحون - بأنَّه مضطلع بالحديث، كما أنه

---

[١] آثار البشير الإبراهيمي: ١/ ٢٢٢.

مضطلع بسائر علوم الدين وآلاتها".[1]

وهذه الشروح هي: (**عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي – القبس شرح موطأ مالك بن أنس – المسالك شرح موطأ مالك**). فكتاب القبس مثلا نقل منه ابن باديس كما في الآثار (١/ ٥٠٥- ٢/ ٥٦)، ومبارك الميلي كما في آثاره (١٧٦- ٢٠٥) ومواضع أخرى لا تحصى، وقد عبَّر العلامة ابن باديس على احتفائه بكتب ابن العربي في الدرس الحديثي والتفسيري فقال: "إذا نظرنا في آثار ابن العربي التي تركها لنا في كتاب أحكام القرآن وقد نشِر، وكتاب المسالك على موطأ مالك – ومنه نسخة خطية في المكتبة العمومية بالعاصمة–، وكتاب القبس على موطأ مالك بن أنس –ومنه نسخة عتيقة أندلسية في خزانتنا– وسننشرها إن شاء الله، وعارضة الأحوذي على جامع الترمذي، وكتاب العواصم من القواصم –الذي بين أيدينا–، إذا نظرنا في هذه الآثار علمنا أن هذا الإمام ممن بلغوا تلك الذروة، وأنه جمع إلى الإمامة في تلك الأصول الإمامة في الأصلين، وفي الفقه، وفي علوم الحديث".[2]

ومن الكتب المعتمدة عند علماء الجمعية **شرح القاضي عياض على صحيح مسلم**، نقل منه ابن باديس في مواضع، منها في آثاره (٢/ ١٣١- ٣ / ٨٧ – ٣/٨٨).

والملاحظ هنا ندرة نقل علماء الجمعية من شروح ابن عبد البر على الموطأ (**التمهيد، والاستذكار**) ولعل السبب في ذلك أن الكتاب لم يكن متوفرا في ذلك الوقت، لذلك وجدنا مبارك الميلي ينقل عنهما بالواسطة، قال في رسالة الشرك ومظاهره: "رواه ابن عبد البر في (الاستذكار) و(التمهيد)، وصححه أبو محمد عبد الحق، قاله السيوطي في (الحاوي) (٢/ ٣٥٨)".[3]

وفي المقابل هناك نقل مستفيض من كتاب «جامع بيان العلم وفضله»، لابن عبد البر، وهذا يدلُّ على أن الكتاب كان متاحا متداولا في عصرهم.[4]

٣. شروح لعلماء جزائريين.

من أهمها **شرح الإمام محمد السنوسي على صحيح مسلم**، نقل منه ابن باديس قائلا: "وقال الإمام سيدي محمد السنوسي– رحمة الله عليه– في شرحه لهذا الموضع: (وعلماء السوء والرهبان على غير أصل سنة كلهم داخلون في هذا المعنى وما أكثرهم في زماننا (القرن التاسع) نسأل الله تبارك

---

[1] آثار الشيخ مبارك الميلي: ١/ ٢٠٥.

[2] آثار ابن باديس: ٤/ ١٢٨.

[3] رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي: ص ٣٤٦.

[4] ينظر: الدرس الحديثي عند الإمام ابن باديس، يونس بوحمادو: ص ١٧٠.

وتعالى السلامة من شر هذا الزمان وشر أهله)".[1]

واستشهد بقوله في موضع آخر فقال: "قال **الإمام محمد السنوسي**- رادا على الأبي-: تسمية النبي- صلى الله عليه وآله وسلم الرجل الثاني بالعالم والأول بالراهب يدل على أن الراهب ليس بعالم".[2]

هذه هي أهم المصادر الحديثية التي تداولتها أيدي علماء الجمعية، وبقيت مصادر أخرى أعرضت عن ذكرها لضيق المقام.

[1] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس: ١١٧.

[2] مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس: ١٠٤.

المبحث الخامس: أثر هذه المصادر في الدرس (الحديثي) عند علماء الجمعية.

بعد أن عرضنا أهم المصادر التي اعتمدها وعوَّل عليها رجال الجمعية في درسهم الحديثي، وبيان أهم اختياراتهم في ذلك، كان ولا بد أن يظهر أثر هذه الاختيارات، وأن تترك تلك المصادر لمساتها الإيجابية في تقريرات علماء الجمعية، التي يمكن أن نلخّصها في هذه النقاط.

أولا) كان للمصادر المالكية في الحديث النبوي –على رأسهاَ الموطأ لإمام المذهب والشروح الحديثية لعلماء المالكية– أثر بارز في بيان التوجُّه العلمي للجمعية، وأنه توجه أصيل في إطار المرجعية العلمية المعروفة في البلاد، فكان اعتماد تلك المصادر ردا غير مباشر على من يتهم الجمعية بالشذوذ، والخروج على رسم علماء البلد، وقد بيَّن الدكتور محمد الدراجي أن الغرض من اختيار هذه المصادر هو "نفي التهمة التي كان أعداء الإصلاح ، وخصوم ابن ابن باديس –رحمه الله– يرفعونها في وجهه وهي أنه صاحب فكر دخيل، لم يحترم فيه المرجعية التي كانت سائدة في هذه الديار".[1]

وذلك أن كانت الجمعية تنبز بالوهابية والعبداوية (نسبة لمحمد بن الوهاب، ومحمد عبده)، وأن أفكارها الإصلاحية لا تمتُّ للمذهب المتَّبع بصلة، وأن مصادرهم في التلقي غير معروفة وغير معهودة، كل ذلك من أجل تصويرهم في صورة الشذّاذ مقطوعي الصلة بالسلف الكرام من الأئمة والعلماء، فكان اعتماد هذه المصادر المعروفة والمشهورة أكبر رد على هذه الدعاوى، وبيان شافي لأصالة المنهج الإصلاحي في الدرس الحديثي.

ثانيا) اعتماد المصادر المشهورة والقوية في تفسير الحديث، مكّنت العلماء من التحليل الدقيق والعمق في الطرح والشمولية المعاني، فإن آفة الشرَّاح هي الجمود على ظاهر اللفظ وعدم النظر في المعنى الشمولي والمقصد العام، لكنَّ العلماء المحققين يبصرون ذلك، مثال ذلك شرح ابن باديس لحديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» فقد ذكر أن المراد من معلمه من يلقنه غيره ويفسره له ويرشده إلى العمل به، ثم استظهر بنص للحافظ ابن حجر في فتح الباري فقال: " قال الحافظ ابن حجر في بيان وجه خيرية معلم القرآن ومتعلمه: (ولا شك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدى، ولهذا كان أفضل)".[2]

والشاهد من هذا المثال أن ابن باديس بين وجّه الحكمة، ووقف سبب الثواب العظيم، وذلك بالاتكاء على المصدر الذي نقل منه، وهو فتح الباري للإمام العظيم ابن حجر العسقلاني.

---

[1] الشيخ عبد الحميد ابن باديس السلفية والتجديد، د. محمد الدراجي: ص ١٠٤– ١٠٥.

[2] مجالس التذكير من أحاديث البشير النذير، ابن باديس: ص ٢٠٢.

كذلك فعل الشيخ مبارك الميلي الذي كان يسقط المعاني على الواقع، ويستنبط من الحديث ما يصف مستقبل الأمة ويعالج مشاكلها، ففي شرحه لحديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد قال: "وقال الحافظ ابن حجر المتوفى منتصف القرن التاسع في «فتح الباري»[1] بعدما أشار إلى كثرة ما أنذر به النبي صلى الله عليه وسلم أمته: (وقد وقع معظم ما أنذر به، وسيقع بقية ذلك)".[2]

ثالثا) اعتماد المصادر الموثوقة للدرس الحديثي أعطى قيمة علمية لجهود علماء الجمعية، خاصة وأنهم كانوا في عصر غلبة عليه الخرافة والتدين الموروث، وقلَّ فيه التثبت في النقل، والرجوع إلى الأصول، حتى نُسِبت الأقوال إلى غير أصحابها، ودخل في دين الله ما ليس منه، وقد بيَّن ابن باديس أثر المصادر في الرفع من قيمة كلام العالم، فقال ناصحا أحد الكتاب: " أنصحك بالتأمل الجيد فيما تقرأ وتكتب، والتثبت التام فيما تعزو وتنقل، فإننا لا ندين إلا بما ثبت عن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- من آية قرآنية أو سنة نبوية قولية أو فعلية وما كان عليه السابقون مما رواه الأئمة في كتب الإسلام المشهورة، فعليك إذا نقلت أن تبين الكتاب وتعين المحل المنقول منه **ليكون لقولك قيمة في مقام البحث والنظر**، والله يتولى إرشادك وتسديد خطاك في سنن العلم والدين".[3]

وهكذا نجد الشيخ العربي التبسي ينكر على الطرقيين اختراعهم العهود والأوراد ويبطل تعلقهم بما نقل عن الحسن البصري في ذلك ويطالبهم بالمصادر الموثوقة لفعلهم، وهذا يدل على أن قضية المصادر كانت محورية في إثبات الحقائق الدينية أو نفيها، وأن علماء الجمعية وثقوا علمهم من المصادر ليرفعوا من قيمة دعوتهم، يقول العربي التبسي ردا على الطرقيين: "فزعما أنَّ هذه العهود وما لفَّ لفها، قد نُقِلَت عن الحسن البصري، فأجبتهما : بأن من نقل هذا عنه ؟ أراه قد كذب عليه...وهذه الكتب الصحاح التي عرف رجالها، ومحصت أخبارها، لا يوجد فيها ما يصلح أن يكون دليلا أو شبه دليل".[4]

رابعا) إن اعتماد رجال الجمعية لكتب ذم البدع ككتاب محمد بن وضاح القرطبي وأبي بكر الطرطوشي وكتب أبي إسحاق الشاطبي، أظهرت النهج السلفي الأصيل في الإصلاح، لذلك تجد في الدرس الحديثي عندهم محاربة شديدة للبدع والشركيات، وكل ما أحدثه المحدثون مما لم يكن في العهد القديم عند السلف الصالح، ولما كان المناوؤون لهم يعيرونهم بأنهم أتو بدين جديد، كانوا يستظهرون

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر: ١٣/ ٣٠١.

[2] رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي: ص ٨٥.

[3] مجالس التذكير من أحاديث البشير النذير، ابن باديس: ص ٢٥٣.

[4] الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي: ص ٤١٢.

تلك المصادر والمراجع للتدليل على أصالة منهجم، وعمق جذوره في التاريخ العلمي، يقول البشير الإبراهيمي: "ومن بركات جمعية العلماء على هذا القطر أن أمهات التفسير الموثوق بها وكتب الحديث الصحيحة راجت بين الناس، وعمرت الخزائن، واكتسحت تلك الكتب التي ضللت الناس وقتلت مشاعرهم".[1]

---

[1] آثار البشير الإبراهيمي: ١/ ١٩٣.

الخاتمة: نتائج البحث والتوصيات.

الحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله والصحب الكرام، أمَّا بعد: فبعد هذا العرض لموضوع مصادر الدرس التفسيري والحديثي لعلماء جمعية العلماء المسملين الجزائريين، يمكننا تلخيص نتائج البحث في النقاط الآتية.

١- أَولَت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الدرس التفسيري والحديثي عناية كبيرة وخاصة؛ لأن محور دعوتها الأساس هو ربط المجتمع بالوحيين الكتاب والسنة.

٢- اعتمد علماء الجمعية في درسهم التفسيري على مصادر علمية معتبرة، اتسمت بالقوة والاختصاص، والتنوع، فمنها التفسير الأثري والنظري، والإصلاحي المعاصر، فجاء درسهم ثريا متكاملا.

٣- اعتمد علماء الجمعية في درسهم الحديثي على مصادر علمية عالية ومتينة، سواء في الشروح الحديثية أو أصول السنة، والملاحظ عليها أنها أصلية، مع الميل نحو الشراح من المالكية، وتوظيف كلام الشراح الجزائريين.

٤- اهتم علماء الجمعية بالواقعية ومعالجة مشاكل المجتمع في درسهم التفسيري والحديثي، فكانت مصادرهم لهذا الغرض كتب التفسير والشروح المعاصرة ككتب محمد عبده ومحمد رشيد رضا.

٥- لم أعثر على بعض المصادر المشهورة في الدرس التفسيري والحديثي أثناء فحص كتابات علماء الجمعية، ولعلَّ السبب في ذلك عدم وجودها مطبوعة في عصرهم، أو أنها كانت بعيدة المنال في ذلك الزمان المتقدم.

٦- لم يستقل علماء الجمعية بأفكار جديدة أو تفسيرات محدثة في درسهم التفسيري والحديثي، بل كلامهم كان مؤصلا من مصادر موثوقة ومعتبرة عند أهل الاختصاص، أضفوا عليه الصبغة الواقعية والإصلاحية.

٧- كان لتلك المصادر التأثير الواضح في الدرس لتفسيري والحديث لعلماء الجمعية، حيث وجدت الدقة والتأصيل في أطروحاتهم، والبعد عن إحداث الأقوال الشاذة، والتفسيرات الخاطئة، والاعتماد على الأحاديث الضعيفة أو الروايات الإسرائيلية المنكرة في التفسير.

٨- كان للبيئة التي عاش فيه علماء الجمعية تأثير واضح في اختيار المصادر لدروسهم، حيث كانت هذه المصادر مشهورة في معاهد التعليم، ومنها ماكان لعلماء المذهب المتبع (المالكي) دون إغفال مصادر علماء البلد الجزائريين.

التوصيات: في الختام يوصي الباحث بمزيد اعتناء بمصادر وموارد علماء الجمعية في دروسهم، وذلك بتتبع مجلات الجمعية ، وإحصاء الكتب المعتمدة في الدروس التفسيرية والحديثية.

كذلك من توصيات البحث، تتبع تقييم وانتقاد علماء الجمعية للكتب والمصادر العلمية، فقد مرت معي أثناء البحث تعليقات ابن باديس والإبراهيمي وغيرهما...على بعض المصادر العلمية تقويما ونقدا، تحتاج هذه الملاحظات على الكتب من يجمعها في بحث علمي ليفيد بها.

وصلى الله عليه نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة أهم المصادر والمراجع:

١- آثار ابن باديس، عمار طالبي، ط١، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ١٣٨٨هـ.

٢- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، أحمد طال الإبراهيمي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧م.

٣- آثار الشيخ مبارك الميلي، جمعها أبو عبد الرحمن المحمود، ط١، دار الرشيد، ١٤٣٣هـ.

٤- الاحتفال بختم الموطأ، الجيلاني بن محمد (ملحق بكتاب مجالس التذكير بحديث البشير النذير)، ط١، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ١٤٠٣هـ.

٥- أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ .

٦- الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق سليم الهلالي، ط١، دار ابن عفان،السعودية، ١٤١٢هـ.

٧- الأعمال الكاملة للشيخ العربي التبسي،جمع وإعداد د. أحمد الرفاعي الشرفي، دار اليمن للنشر والتوزيع.

٨- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٩- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٠- جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف وإحياء السنة، - الدكتورة عقيلة حسين، ط٢، دار الوعي، ١٤٣٦هـ.

١١- الدرس الحديثي المعاصر، أحمد الجابري وآخرون، ط١، مركز نماء، بيروت، ٢٠١٧م.

١٢- الدرس الحديثي عند ابن باديس منهجه مقاصده، بوحمادو يونس، رسالة ماجستير، مقدمة في قسم العقائد والأديان، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، سنة ١٤٣٦هـ.

١٣- رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي، تحقيق: أبي عبد الرحمن المحمود، ط١، دار الراية، ١٤٢٢هـ.

١٤- الشيخ عبد الحميد بن باديس، السلفية والتجديد، د. محمد الدراجي، ط١، دار الهدى، عيم مليلة، الجزائر.

١٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط١، المكتبة السلفية، مصر، ١٣٩٠هـ.

١٦- العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ابن باديس، ط٢، مكتبة الشركة الجزائرية.

١٧- العواصم من القواصم، لابن العربي – ذيل تحقيق الشيخ عبد الحميد ابن باديس – المطبعة الجزائرية الإسلامية، ١٣٤٥هـ.

١٨- مجالس التذكير من أحاديث البشير النذير، ابن باديس: ط١، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ١٤٠٣هـ.

١٩- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ١٤١٦ هـ.

٢٠- مجلة السنة النبوية المحمدية، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الغرب الإسلامي،١٣٥١هـ.

٢١- الواقعية في الدرس الحديثي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، د. أكرم بلعمري، مقال منشور في مجلة، البحوث والدراسات، العدد ١٦، سنة ٢٠١٣م.